

المحاضرة السادسة: المفاهيم

I. المفهوم:

إن تصميم أي بحث ينطوي على عدد من الخطوات المنهجية، وفي كل خطوة يستخدم الباحث "مفاهيم" تحتاج إلى تحديد دقيق لمعناها العلمي، هذا التحديد يوجه الباحث إلى معرفة الخصائص الأولية للظاهرة، ويمكنه من التمييز بينها وبين ظواهر يمكن ان تتشابه أو تتشابه معها. لذلك تعتبر عملية تحديد المفاهيم الأولية والتعريفات الإجرائية لها، المسار الحقيقي الذي يهتدي به الباحث عند توجيهه نحو موضوع دراسته.

1. معنى المفهوم:

هناك العديد من التعاريف التي تحدد معنى المفهوم منها:

- المفهوم هو تصور عقلي عام أو مجرد لموقف أو أمر أو شيء.
- المفهوم عبارة عن فكرة أو رأي أو صورة عقلية.

ولكي نميز بين المفاهيم والحقائق لا بد من إدراك أن المفهوم يتميز بالسمات التالية:

- أ. التمييز: أي أنه لا ينطبق على شيء أو موقف واحد، بل ينطبق على مجموعة من الأشياء أو المواقف ويميز بينها.
- ب. التعميم: لا ينطبق على شيء أو موقف واحد، بل ينطبق على مجموعة من الأشياء أو المواقف.
- ت. الرمزية: فهو يرمز لخاصية أو مجموعة من الخصائص المجردة.

II. تحديد المفاهيم:

يعتبر تحديد المفاهيم من الركائز الأساسية التي يستند عليها البحث في علم الاجتماع، لذلك على الباحث تحديد الأشياء التي يريد دراستها حتى يعرف ما الذي يريد دراسته؛ فلا يمكن مراقبة نظرية ما لو لم نتعرف على الظواهر التي تعالجها.

يضع المفهوم المعالم الأساسية للظاهرة المدروسة، ومن خلاله يمكن معرفة أن الظاهرة محل الدراسة يمكن أن تبلور في خطاب خاص (مفهوم علمي) بعيد عن خطاب العامية.

ويتحدد مفاهيم الدراسة يكون الباحث قد رسم طريقا واضحا ودقيقا بعيدا عن الأفكار والأحكام المسبقة والغموض. وبمجرد تحديد المفاهيم التي يريد الباحث استعمالها؛ يقوم بإعطاء تعريف لكل منها. ومن خلال هذه التعاريف سيتم ضبط موضوع الدراسة بشكل واضح ودقيق.

وأثناء تحديد الباحث لمفاهيم دراسته يكون هنا هامش تدخله منعدم؛ لأنه سيعتمد في تعريف مفاهيمه على القواميس والمعاجم والموسوعات، والمراجع والدراسات السابقة التي تتناول الظاهرة المدروسة.

بمعنى: أن الباحث عند تحديد المفاهيم سوف يعرض وجهات نظر نظرية لباحثين عالجا هذه المفاهيم وأعطوها أساسا نظريا بعد دراسات عديدة.

مثلا: إذا استعملنا في دراستنا مفهوم التسلسل الهرمي في السلطة، نرجع هنا إلى المحتوى الذي يعطيه ماكس فيبر لهذا المفهوم من خلال مؤلفه حول البيروقراطية.

كذلك إذا أردنا مثلا دراسة مفهوم التعاون في المنظمة؛ فإننا نرجع إلى المحتوى الذي يعده شستر برنارد لهذا المفهوم من خلال الاطلاع على نظرية النظام التعاوني.

1. التعريف الأولي للمفهوم:

يعد كالفرضية، كونه يعني وضع تعريف يلتصم الخصائص الأولية للظاهرة في محاولة لتوجيه الباحث باتجاه الخصائص الأساسية دون التعمق لفهم مكوناتها والتعرف على حقائقها الكامنة. يعتبر بمثابة البوصلة التي توجه الباحث لتمييز الظاهرة عن غيرها من بقية الظواهر.

2. التعريف الإجرائي للمفهوم:

بعد قيام الباحث بتحديد متغيرات بحثه في ضوء التعريف الأولي للمفهوم، فإنه يواجه مشكلة تعريفها، بدون تعريفها لا يمكن التعبير الكمي عن المتغير ومكوناته الأساسية.

في هذا الصدد تشير "سالتز و زملاؤها" إلى أنه مهما كانت تعريفات الباحث المنهجية لمفاهيمه بسيطة أو مفصلة، فإنه يجب إذا كان يريد أن يجري بحثاً، أن يجد طريقاً لترجمة هذه التعريفات إلى أحداث يمكن ملاحظتها.

والتعريفات العاملة (الإجرائية) تصبح ملائمة حين تؤدي الأدوات أو الإجراءات التي تصمم على أساسها إلى جمع مادة تعتبر مؤشرات كافية للمفاهيم.

أما التعريف الإجرائي للمفهوم فهو: تحديد العمليات الضرورية لكي نصل إلى مقياس للمفهوم، وبما أن العلم يحاول دراسة الظواهر كما هي في الواقع، لذا فإن مفاهيمه كلها يجب أن تكون قابلة للتعريف الإجرائي.

ويفصل "كيرلنجر" معنى التعريف الإجرائي بقوله أنه " التعريف الذي يحدد معنى التكوين الفرضي أو المتغير بتحديد الأنشطة أو العمليات اللازمة لقياس التكوين الفرضي أو المتغير"، بمعنى هو تحديد لأنشطة الباحث في قياس المتغير أو في معالجته.

3. أهمية التعاريف الإجرائية للمفاهيم في البحث الاجتماعي الميداني:

أ. تحدد التعاريف الإجرائية الإطار الميداني لخطوات البحث الاجتماعي.
ب. يعتبر التعريف الإجرائي للمفهوم الحلقة الرئيسية التي تربط ما بين التجريد والواقع المادي المحسوس.

ج. العلاقة بين الافتراض والتعريف الإجرائي وثيقة جداً، لأن الافتراض الذي يقترح وجود علاقة

مثلاً: العلاقة ما بين الرعاية الصحية للطفل واحتمال حدوث اعاقة لديه.

- هنا على الباحث تحديد المضمون الإجرائي لمفهوم الرعاية الصحية حتى يتمكن من قياسها.

- كما تتطلب هذه أيضاً تحديد المعنى الإجرائي للحد الثاني من الافتراض وهو مفهوم الإعاقة.

فالرعاية الصحية كمفهوم مجرد تعني عدة مسائل منها:

✓ نوع الرعاية التي يتلقاها الطفل بعد الولادة.

✓ عرض الطفل على الطبيب عند المرض والتطعيم والغذاء.

- كذا لا بد من تحديد معنى دقيق وإجرائي لهذه المعاني المجردة، حتى يمكن تحويلها إلى

مؤشرات وأسس علمية تترايط فيما بينها لتشكل في النهاية مفهوم الرعاية الصحية.

د. كما يحدد معنى الأسئلة التي تطرح في الاستمارة والتي كما تعلم ترتبط أصلا بالافتراضات الأساسية، فعند تحديد موضوع الدراسة ووحدتها التحليلية والافتراضات المسيرة للبحث، لا بد أن يتبلور ذلك التحديد بصيغة سؤال محدد يطرح في الاستمارة.